صمّاء. وتردّد هو، واستشار بناظريه رفيقيه اللذين نصحاه بالرحيل وقد أقلقهما مجرى الأحداث. ولكن كيف كان في مقدوره أن يفعل؟ فلم يكن له بدّ من أن يعرف ما حدث. واجتاز السياج واندفع إلى المنزل وكأنه عاد ملكه من جديد.

وفي هذه اللحظة هرعت «مريم»، وكانت منهمكة في العمل في مسكية الخُضَر بالحديقة خلف المطابخ، وقد وضعت يديها حول فمها بشكل بوق؛ وأشارت إليها «أوتاكيم» بحركات يائسة، وقد طار صوابها، أن تصمت وتختفي. فلقد كانت تريد أن يدخل «پاتيغ» المنزل، وأن ينفلت لحظة من حيطته وحذره، غير أن «مريم» لم تشاهدها. وقد سبق أن كانت تصيح باسم زوجها الذي ظنّت أنه عاد. وإذ اطمأنّ إلى أنها ما زالت حيّة، ولم يكن يطلب أكثر من ذلك، فقد ولّى الأدبار لملاقاة «أخويه».

وابتعد الثلاثة وهم يشمّرون أذيال أثوابهم البيضاء. وأدركت «مريم» أنه ليس في وسعها اللحاق بهم.

لم تكن الأم الشابة لتعرف، في غمرة البلبال الذي كان يستولي عليها مذّاك، بأي إلّه تستجير، حتى وإن استبعدت على الفور إلّه «سيتابي». أكان عليها أن تحمل ابنها بعيداً من هنا، إلى (ميديا) مسقط رأسها؟ ولكن لتقيم في أي منزل؟ فلقد مات أبوها واقتسم إخوتها الممتلكات. ولم يكن في مقدورها تبعاً للرشاد أن تترك ملكها وأراضيها وخَدَمها، وأن تتخلّى عن كل أمل في استعادة زوجها لتهيم في الطرق بحثاً عمّن يرغب، ذكراً كان أو أنثى، في استقبالها. فما العمل إذن؟ أن تُرضع ابنها بانتظار أن يأتي أبٌ لا يُرى لانتزاعه منها إلى الأبد؟

كانت أيام الكَرْب هذه بالنسبة إلى «مريم» أيام خراب أيضاً بالنسبة إلى (ما بين النهرين). ومع ذلك فقد حُكي عن السلام في تلك السنة بين «الرومان» و«البارتيين». بل لقد طلب الإمبراطور «كركلاّ» من «أرطبان» أن يزوّجه ابنته فوافق. وكان مقرّراً أن يتمّ ارتباطهما في احتفال بـ «المدائن» في معبد «ميترا» الربّ الوحيد الذي كان يجلّه العاهلان على قدم المساواة. وعليه فقد كانت